المركبة الهوائيَّة الاولى في باريس

لشاهد حياتي الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤

توطئة

الكونت لويس فيليب دي سيغور سليل أُسرة شريفة اشتهر منها كثيرون في خدمة ملوك فرنسة في القرن الثامن عشر ثمَّ في خدمة دولتهم على عهد نابوليون الاوَّل والملوك خلفائهِ الى اواسط القرن التاسع عشر. فمنهم كبار الحرب ومنهم السياسيون ومنهم الكتبة. وقد اشتهر في كل ذلك الكونت لويس فيليب دي سيغور المولود سنة ١٧٥٣ والمتوفَّى في ٢٧ آب ١٨٣٠. وهو جدّ السيِّد الجليل والكاتب البليغ المنسيور دي سيغور الشهير بتآليفهِ الدينيَّة وحياتهِ المقدَّسة. وللكونت الموما اليهِ مصنَّفات جليلة اهَّلتهُ للانتظام في سلك الاكادمية الفريسويَّة من جملتها كتابُ مذكَّراتهِ ونوادرهِ عن ملك لويس السادس عشر (Souvenirs et Anecdotes sur le règne de Louis XVI) ألَّفهُ سنة ١٨٢٦ واوردهُ كثيرًا ممَّا عاينهُ في ذلك العهد في كل المناصب التي تقلَّب فيها والبلاد التي تنقَّل اليها فتجد من القصص الظريفة والنُّكت اللطيفة ما يسرّ الخاطر ويهيج الناظر. وممَّا وقفنا عليهِ هناك فصلٌ حسن عن اوَّل مركبة هوائيَّة شاهدها اهل باريس مرتفعةً فوق المدينة وحاملةً لراكبَيها الاخوين الشقيقين شرل وروبر منغلفيار (Mongolfier) وذلك سنة ١٧٨٤. فاحببنا نقلهُ الى العربيَّة تنكيهًا للقرَّاء ليروا مبادئ ذلك الفنّ العجيب الذي بلغ اليوم اوج عزّهِ بعد ان قام اشواطًا بعيدة في اطوار حياتهِ الهوائيَّة

ل. ش

بينما كنتُ في باريس بعد رجوعي من اميركة سنة ١٧٨٤ اذ حرَّك فينا الصناعيُّ مونغولفيار الامل الباطل بالتقرُّب الى النجوم. فان هذا الرجل كان استحقَّ الشهرة اوَّلًا باختراعهِ طريقةً لإعداد الرقوق من جلد العجول (papier vélin) ثمَّ خلَّد اسم مسقط رأسهِ انوناي (Annonay) ثم فرنسة وطنهِ واسم عائلتهِ باكتشافهِ المراكب الهوائيَّة والمناطيد

وقد اصابت انوناي في عصرنا هذا شرفًا مضاعفًا بمولد اثنين من اهلها منغولفيار ثم ذاك الوطنيّ العظيم الشريف بواسيّ دانغلاس (Boissy d'Anglas) الذي انار عصرهُ بجملة فضائل سامية في وسط الرذائل المحيطة بهِ واظهر شهامةً غريبة في ايَّام الاهوال وصان حقوق الادب مع السياسة ومزج خطبهُ في مجلس الدولة بنزاهة غريبة

وشنّف آذان معاصريه بشعره الرنّان وثبت على صداقته على عكس ما جرى لغيره في تقلّبهم مع احوال الزمان

أمّا وقوف مونغولفيار على سرّ طيران المراكب الهوائيّة فكان نصيبهُ من الصدفة شأن كلّ الاكتشافات العظيمة التي يرقى قسمٌ منها الى الصدفة والقسم الآخر الى القريحة . كان مونغولفيار في احد أيام السنة ١٧٨٣ يشتغل في معمل ورقه فاخذ ابريق قهوة ليملأ فيه ماء فجعل عليه غطاء من الورق محدّباً على شبه الكُرَة . فما كان من امره الّا أنهُ انتفخ ثم صعد في الهواء . فتعجّب مونغولفيار وأعاد الامتحان فجعلهُ نظر تلك الكرة المرتفعة الى الجوّ الى البحث عن سبب ذلك فما لبث ان تحقّق وجود غاز الهواء المتخلل الذي هو اخفّ من الهواء الجوّي . وباكتشافه هذا السرّ كان ايضاً اكتشاف المناطيد وفنّ الطيران وفتح مملكة الهواء لنشاط البشر

واوّل ما امتحنهُ مونغولفيار لتسديد الهواء وتخلّله هيئةُ النار وبخارها كأنّهم اشاروا بذلك الى بطلان المجد المنتظر من ذاك الاكتشاف الشبيه بالدخان كغيره من الاكتشافات القليلة الجدوى . لكنّهم عدلوا بعد ذلك عن النار الى استعمال الغاز فنجح الاختبار واناطوا بالمركبة الهوائيّة سفينة صغيرة تصاعدت معها ورأى العموم باندهاش رجالاً يرتفعون الى الهواء

امّا اليوم (يريد سنة ١٨٢٤) فقد اصبح مشهد المراكب الجوّية ملهاةً شائعة في مولسنا واعيادنا كالنيران الصناعيّة التي توقد ليلاً . لكنّي لن انسى ما نسيتُ التأثير الشديد والعميق الذي اثّر فيّ وفي جميع اهل باريس ذاك التعليقُ الاوّل الذي باشرهُ وسط حدائق قصر التويلري (Tuileries) الاخوان شرل وروبير صاعدين على جناح الريح الى القبّة الزرقاء

وكان بلغ الملك لويس السادس عشر ما قصدهُ الاخوان من العمل الخطير فنبّهه الى التهوّر ولوّقة قلبه الحنون تخوّف عليهما الموت . ومن ثمّ بينما كانت عيون جميع الحاضرين شاخصة اليهما بملء العجب مما حاولاهُ من الكفاح مع الرياح في سفينة صغرى في وسط الفضاء متعرّضين لضروب الاخطار المجهولة اذ ورد عليهما امرٌ من الوزير ينهاهما عن سفرهما الجوّي . لكنّ شهامة ذينك الرجلين وانتظار الشعب بفروغ الصبر بعد ان دُعي ليتمتّع بذاك المشهد الغريب نتيجة عقول نابغة غلبا على كلّ

لاوامر الملكيَّة فقطع الاخوان حبال مركبتها الكرويَّة الشكل واذا بها اخذت تصاعد بكل عظمة الى عنان الفضاء. فرأينا راكبيها يقطعان برباطة الجأش طرق السماء

لا مراء انهُ لو كان حصل مثل هذا المرأى في احد الاجيال السابقة لظنَّ الناس انَّ هذا من افعال الآلهة والارواح العلويَّة. وقد بعث في هذا المنظر قوَّةً غريبة كانت تهول في عيني كلّ مآثر الابطال

فشعرتُ باهتزاز في كلّ وجداني لم يسمني تحميدهُ وانطلق لساني بما شحذ قريحتي فانشدت بديهاً ابياتاً بهذا المعنى :

يا حبَّذا الأخوان شرلُ ورُوبرٌ اذ حاولا رَقيّاً من الغبراء
لم يرهبا خطراً ولم تردهما بلوى سقوطٍ من علوّ فضاء
صعدا الى فلك السماء بمرأة يتبخترانِ على جناح هواء
يا ليت شعري كيف يطيعُ الأنا مُ جزاء تلك الأثرة الغرّاء
فكفاهما مجداً اثيلاً خالداً ان شاطرا الارواحَ مُلْكَ سماء

فبعد هذا الانتصار الباهر على قوَّات الطبيعة بدافع العقل البشري اهتزَّ الناس طرباً واحسُّوا بما للانسان من العزّ والقدرة وما استبعدوا نسبة اعظم العجائب لقوى البشريَّة كأنَّ طبيعة الآدميين لا تقوى على ضبطها الحدود

وكان البعض يتهوَّسون فيؤكدون انهُ ثبت اكتشاف توجيه المراكب الجوّيَّة وانهُ عمّا قليل ستسير في الجوّ اساطيل منها فيسهل الهجوم على انكلترَّة. واخذت بعض الغادة من إلقاء يوجسن فزعاً لئلّا يهبط عليهنّ في حدائق المدينة بعض الطيَّارين من المغاربة فيسبونهنَّ الى بلادهم. وطوبى فرحاً الذين يتعاطون تهريب البضائع اذ لن تستطيع عمّال الدواوين ان يوقفوهم اذا حلّقوا في الجوّ وبالعكس صار ارباب الجارك يئنون من فقدان وظائفهم

وممّا كان ينعش الآمال بصعود المراكب الجوّيَّة الى الفضاء الخدمُ العديدة المنتظرة منها في وقت الحرب اذ ترتفع فوق الحصون. على انَّ الدولة الفرنسويَّة لم تجنِ اليها الّا في موقعة فلوروس (Fleurus) التي جرت سنة ١٧٩٤ بين الجنرال كوردان والجيوش النمساويَّة وانَّما اتَّخذوها فتطلراقبة قوَّات العدوّ ورصد حركاته. العلماء يظنُّون انهُ مستحيل توجيه المراكب الهوائيَّة مع هبوب الرياح الجوّيَّة.

ولكن مَن يعلم ما يحدث في المستقبل ؟

هذا ما اخبرهُ الكونت دي سيغور وكان الشاهد العياني لاوّل مركبة هوائيّة حلّقت في الجوّ وروايتهُ حريّة بالذكر اذ يفيدنا ما شمل الناس من الفرح باكتشاف فنّ الطيران وحدْسهم بما سينتج منهُ من المنافع . فلو عاد اليوم الى الحياة اهل ذلك العصر ورأوا ما جرى في الحرب الاخيرة ويجري كل يوم على يد الطيّارين من الاعمال العجيبة والفوائد الجمّة لأخذ الاندهاش منهم كل مأخذ ولعرف الكونت دي سيغور صحّة كلمته الاخيرة : «ولكن من يعلم ما سيحدث في المستقبل » فكأنهُ تنبّأ سلفًا عمّا تعاين اليوم من غرائب الطيران

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mermeix: Les Négociations Secrètes et les Armistices, avec Pièces justificatives. *Paris, Librairie Ollendorf, in*-12, 1919, *pp.*365. *Prix* 8fr.

المفاوضات الدوليّة السرّيّة والاربع الهادنات

انّ انكشاف القيوم عن سياسة الدول المركزيّة قد سمح لمؤلف هذا الكتاب بان يميط الستار عن احوال المانية وحليفاتها في أيّام الحرب فبيّن استنادًا الى الاوراق الرسميّة والسرّيّة معاً التي وقف عليها ان المانية بعد فشل جيوشها الاوّل عند نهر المارن وعجزهم عن فتح باريس احسّت بان آمالها بالانتصار النهائي قد حبطت وشرعت منذ ذاك الحين تسعى بوسائط سرّيّة الى عقد الصلح مع الدول الاتفاقيّة على شرط أن تبقى الاحوال على ما كانت قبل الحرب دون فقدان شيء من املاكها ودون غرامة حربيّة . فمن يطالع هذا الكتاب يقف على دسائس الدولة الالمانيّة العجيبة لادراك غايتها السرّيّة . فبينما كانت تصرخ علانيةً أنها هي الظافرة ولها الكلمة الفاصلة كانت ترسل سرًّا مفوّضيها ومعتمديها الى الدول المتحايدة كاميركة وسويسرة ثمّ الى بعض وجوه الدول المعادية وتصرف المبالغ في تفويضهم لعقد المهادنات والمفاوضات للصلح . الّا انّ كلّ مساعيها آلت الى خذلانها رغمًا عن تحريكها للفتن